



اسم المقال: التفضيل الجمالي بين الأزهار والنواوير في كتاب البديع في فصل الربيع لأبي وليد الحميري

اسم الكاتب: د. هديل أبو آذان

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/3005>

تاريخ الاسترداد: 2025/05/09 23:24 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>



التفضيل الجمالي بين الأزهار والنواوير في كتاب البديع في فصل الربيع لأبي ولید الحميري

د. هديل أبو آذان¹

1 مدرس في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

الملخص:

التفضيل الجمالي عملية مركبة تشتمل على مقارنات وتمييزات واختيارات بين البدائل الجمالية المتاحة، يعبر عنها بأحكام جمالية خاصة، تصدرها الذات على هيئة تعبيرات لفظية، أو اختيارات سلوكية معينة.

ويتجلى التفضيل الجمالي بأبهى صورته الفنية في كتاب (البديع في فصل الربيع) لأبي الوليد الحميري، وهو كتاب في المختارات الشعرية والنثرية التي تختص بفصل الربيع. وقد جاءت المقطوعات الشعرية والنثرية التي اشتمل عليها الكتاب لتصف مدحاً - وهو الغالب - أو قدحاً - وهو القليل - مجموعة من الزهور والأنوار.

وفي سبيل استقراء النصوص الشعرية والنثرية في الكتاب ومقارنتها في ضوء مفهومات علم الجمال أخذ المنهج الوصفي التحليلي منهجاً للبحث الذي أفضى إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها:

- ينطلق الشعراء الأندلسيون في مفاضلتهم بين الأزهار والنواوير من ملاحظتهم الدقيقة لتفاوتها في درجات الجمال.
- يتخذ التفضيل الجمالي في كتاب البديع في فصل الربيع صورتين: التفضيل المطلق، والتفضيل المقارن.
- يقوم التفضيل في كتاب (البديع في فصل الربيع) على نوعين من التفرد، هما: التفوق، والتمايز.
- يقوم التفضيل الجمالي الخالص على التفوق، في حين تشوب التفضيل القائم على التمايز عناصر غير جمالية، الأمر الذي أسهم في اكتمال ظاهرة أسلوبية في شعر النوريات، تتجلى بوضوح في كتاب (البديع في فصل الربيع)، يمكن أن نسميها "التعليق الجمالي".

الكلمات المفتاحية: التفضيل الجمالي، البديع في فصل الربيع، التفضيل المطلق، التفضيل المقارن.

تاريخ الإيداع: 2022/11/20

تاريخ القبول: 2023/1/8



حقوق النشر: جامعة دمشق -
سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق
النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

Aesthetic Preference Between flowers and white flowers in Abi Waleed Al-Hemery's book "the incomparable/exquisite of spring"

Dr. Hadeel Abu azan¹

1 Assistant Professor – Damascus University College of Arts and Humanities
– Department of Arabic Language and Literature.
hadeel.aa.komayt@gmail.com

Abstract:

Aesthetic preference is a compound process contains comparisons, highlights/distinctions, and choices, among the available aesthetic substitutes, which are expressed by special aesthetic rules/judgements by the self as verbalisations or specific behavioural options.

Aesthetic preference is presented with the most splendid genres in Abi AlwaleedAl-Hemery's book "the exquisite of spring", it is a book of poetic and prose anthologies specialised in spring. The pieces of poem and prose in this book were brought to describe panegyric -which was the major- or lampoon -which was the minor- of a group of flowers and white flowers.

For the purpose of inference/ deduction/ induction of poetic and prose texts in the book and approximating them in the light of aesthetic concepts, Qualitative analytical method was chosen as an approach to research, which led to some results among some:

- Andalusian poets have based on their accurate observations of the variety of white flower's aesthetic.
- Aesthetic preference in "the exquisite of spring" takes two shapes: absolute preference and comparative preference.
- Preference in the exquisite of spring, for a certain group of flowers or white flower is due to two kinds of singularity: superiority and variation.
- Pure aesthetic preference is based on superiority, while variation-based aesthetic has unaesthetically elements. This contributed in clarifying stylistic phenomenon in Al-Nouriyat poem which appears clearly in "the exquisite of spring" and can be called "aesthetic reasoning".

Keywords: Aesthetic Preference, The Exquisite Of Spring, Absolute Preference, Comparative Preference.

Received: 20/11/2022

Accepted: 8/1/2023



Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

التفضيل الجمالي ضربٌ معقدٌ من التقييم الجمالي ومرحلةٌ متقدمة منه، ينتج عن تجربةٍ جماليةٍ تعيش فيها الذات المتذوقة موضوعين جماليين أو أكثر من الموضوعات المنتمية إلى جنسٍ واحد، وتحكم على كلٍّ واحدٍ منها على حدة، ثم تقارن بينها، وتختار الموضوع ذا القيمة الأعلى. وينبعث التفضيل من المستوى الانفعالي في الوعي الجمالي الفردي وبالتحديد من الاهتمام الجمالي⁽⁴⁾ ولا يقف عند إطلاق الحكم الجمالي؛ فغالبًا ما يحفز النشاط الجمالي الذي يتجلى في صور عدة، أدناها انشراح النفس لمجالس الأُنس والشراب واللهو، وأعلاها الفنّ الذي "ينطوي على قيمة جمالية مكثفة"⁽⁵⁾. فالتفضيل، إذن "عملية مركبة تشتمل على مقارنات وتمييزات واختيارات، بين البدائل الجمالية المتاحة"⁽⁶⁾، يعبر عنها بأحكام جمالية خاصة تصدرها الذات على هيئة تعبيرات لفظية، أو اختيارات سلوكية معينة⁽⁷⁾.

ويتجلى التفضيل الجمالي بأبهى صورته الفنية في كتاب "البدیع في فصل الربيع"⁽⁸⁾ لأبي الوليد الحميري⁽⁹⁾، وهو كتابٌ في المختارات الشعرية والنثرية التي تختص بموضوع بعينه، وهو فصل الربيع؛ إذ تخلق التعددية النثرية، التي تميز موضوعات الربيع - ولا سيما الأزهار والنواوير - من غيرها من موضوعات الطبيعة، بيئةً مثاليةً تتيح للذات معاشة خياراتٍ واسعةٍ من الموضوعات المتشابهة التي تنتمي إلى جنسٍ واحدٍ أو أجناسٍ مختلفة، وهذا الأمر هو ما يحفزها على تفعيل آليات عقلية تفاعلية من مثل المقابلة والمقارنة، ترتكز مع ما يستتبعها من نشاطاتٍ مثل: الاختيار والتفضيل، أو الاستبعاد والإهمال، إلى معايير متباينة ترجع إلى طبيعة الموضوع الجمالي من جهة، وخصوصية الذات المتذوقة في معاشتها له من جهةٍ أخرى.

ويضم الكتاب بين دفتيه مجموعة قيمة من الشعر الأندلسي في أزهى عصوره؛ عصر ملوك الطوائف، لأبرز الشعراء الأندلسيين عموماً، وشعراء إشبيلية على وجه الخصوص⁽¹⁰⁾. وقد جاءت المقطوعات الشعرية والنثرية التي اشتمل عليها الكتاب لتصف مدحاً - وهو الغالب - أو قدحاً - وهو القليل - لمجموعة من الزهور والأنوار، منها: الورد، والبهار، والياسمين، والخيري، والجلنار، والبنفسج، وزهر اللوز،... إلخ. وجعل في فصولٍ ثلاثة: الأول: القطع في الربيع لم يسم فيها نور ولا قصد بوصفها منه نوع، الفصل الثاني: القطع التي لم تتفرد بوصف نور، بل اشتملت على وصف نورين أو أنوار، والفصل الثالث: القطع المنفردة كل واحدة منها بنور على حدة.

وقد انطلق الشعراء الأندلسيون في مفاضلتهم بين النواوير من ملاحظتهم الدقيقة لتفاوتها في درجات الجمال، محددين المعايير والمجالات الرئيسية التي يتحقق فيها التفاضل بينها، يتضح ذلك فيما أورده صاحب البديع في فصل الربيع على لسان النواوير في رسالة بعث بها الوزير أبو حفص أحمد بن محمد بن بُرد⁽¹¹⁾ إلى الوزير أبي الوليد بن جهور⁽¹²⁾ يصف فيها نواوير خمسة، وغرضه تفضيل الورد بينها وتقديمه عليها: "يا معشر الشجر وعمامة الزهر، إن اللطيف الخبير الذي خلق المخلوقات، وذراً البريات باين بين أشكالها وصفاتها، وباعد بين منجها وأعطياتها، فجعل عبداً وملكاً، وخلق قبيحاً وحسناً. فضل على بعض بعضاً حتى اعتدل بعدله الكل، واتسق على لطيف قدرته الجميع. وأن لكل واحد منا جمالاً في صورته، ورقةً في محاسنه، واعتدالاً في قدّه،

(4) الاهتمام الجمالي: انصراف الشخصية إلى الاهتمام بأنواع وموضوعات جمالية معينة. ينظر: بلوز، علم الجمال، مطبوعات جامعة دمشق، 2000. 2001 م، ص 61.

(5) المرجع نفسه، ص 62.

(6) شاكر: عبد الحميد، التفضيل الجمالي، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، سلسلة عالم المعرفة، عدد 267، مارس، 2001 م، ص 73.

(7) المرجع نفسه، ص 73.

(8) يختلف عنوان الكتاب باختلاف تحقيقه؛ فهو البديع في وصف الربيع بتحقيق كل من هنري بيريس وعبد الله عبد الرحيم عسيلان، والبديع في فصل الربيع بتحقيق د. علي كردي، وقد عاد الباحث إلى طبعاته المختلفة، ولكنه اعتمد البديع في فصل الربيع في توثيق الشواهد الشعرية والنثرية.

(9) إسماعيل بن محمد بن عامر الحميري، أديب وشاعر، له كتاب البديع في فصل الربيع، توفي سنة 440 هـ، ولم يتجاوز التاسعة والعشرين.

(10) الحميري: أبو الوليد، البديع في وصف الربيع، تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار المنني، جدة، ط1، 1987م، ص هـ.

(11) أحمد بن محمد بن أحمد بن برد، أديب كاتب، له "رسالة المفاخرة بين السيف والقلم" كان حياً سنة 440 هـ. بغية الملتمس 146، جذوة المقتبس 107، الذخيرة 1/ 18/2، رايات المبرزين 120، المطرب 127، مطمح الأنفس 207، نفع الطيب 546/3، الوافي بالوفيات 7/ 350.

(12) محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة، بويغ لحكم قرطبة بعد وفاة أبيه أبي الحزم بن جهور سنة 435 هـ، توفي سنة 462 بعد أربعين يوماً من سقوط قرطبة بيد المعتمد.

وعبقاً في نسيمه، ومائيةً في ديباجته قد عطفت علينا الأعين، وثنت إلينا الأنفُس وأصبت بنا الأكف، وأزهت بمحضرنا المجالس حتى سفرنا بين الأحبة، ووصلنا أسباب القلوب⁽¹³⁾

ينم هذا النصّ على إدراك واضح لمكونات التجربة الجمالية ومراحلها، وطبيعة القيمة الجمالية الجدلية بين الموضوع والذات؛ فالحكم الجمالي الذي يتخذ صورة التفضيل ينطلق من التفاوت في درجات الجمال، وأما المعايضة الجمالية، فتنتقل من الموضوع الجمالي المحسوس في سماته المتفردة (جمال الصورة، ورقة المحاسن، واعتدال القدّ، وعبق النسيم، ورواء الديباجة)، التي تجذب الذات وتملكها ابتداءً من جذب البصر، وليس انتهاء بتملك النفس (قد عطفت علينا الأعين، وثنت إلينا الأنفُس)، وهو ما يجعلها تحوز قيمتها الجمالية وتدفع الذات إلى ألوان من النشاط الجمالي؛ فتصبو إلى امتلاكها، وتزيين الأماكن بها، وجعلها وسيلة للتعبير عن المحبة وطلب المودة (وأصبت بنا الأكف، وأزهت بمحضرنا المجالس، حتى سفرنا بين الأحبة، ووصلنا أسباب القلوب). والوزير أبو حفص في نصه هذا يؤكد الطبيعة الثنائية الجدلية في تكوين القيمة بين الجانب الموضوعي والجانب الذاتي؛ وإن كان ينطلق من أولية الجانب الموضوعي. ومن اللافت للنظر في مقارنته التفاوت بين الأزهار والنواوير في القيمة الجمالية أنه يقابل بين القبح والعبودية من جهة، والجمال والملك من جهة أخرى، وكأنه يلمح إلى أن التفضيل الذي قام على تفوق النور عما سواه من النواوير الأخرى أوجب له الملك، وأوجب على ما دونه من الأزهار الاعتراف بتفوقه وتقديم الطاعة له، كما أوجب تفوق الوزير أبي الوليد بن جهور تربيته على عرش السلطة، وأوجب له المبايعة وتقديم الطاعة من الناس جميعاً. فالفضل سبب التفضيل، والملك والحكم وولاية أمر الناس نتيجة موضوعية لهذا التفضيل.

وقد حدّد أبو حفص في رسالته مجالات التفاضل الجمالي بخمسة: جمال الصورة، ورقة المحاسن، واعتدال القدّ، وعبق النسيم، ورواء الديباجة. ويتفق معه في ذلك معظم الشعراء في كتاب البديع في وصف الربيع، ولكنهم يتباينون فيما بينهم في طبيعة التفضيلات الجمالية ودرجتها؛ فالتفضيل الجمالي في الكتاب نوعان:

1. التفضيل المطلق:

ويكون بتفضيل نور على سائر النواوير والأزهار على وجه الإطلاق لا التقييد، والتعميم لا التخصيص. وقد ذكر أبو الوليد الحميري تفضيل الشعراء ضرورياً من النواوير منها:

■ الورد⁽¹⁴⁾:

نال الورد حظوة عظيمة عند الأندلسيين، ولا سيما في مجال الرد على ابن الرومي الذي فضّل البهار عليه، وكثيراً ما استخدم الشعراء ألفاظ المُلْك وما يتصل به من مظاهر للدلالة على تفضيله وتقديمه على النواوير الأخرى، كما في وصف أبي الوليد الحميري:

| | |
|--|--|
| إِذَا الْوَرْدُ فِي ذُرَى شَجَرَاتِهِ | كَأَجَلِّ الْمُسُوكِ فِي هَيْئَاتِهِ |
| رَائِقٌ مَنظَرًا وَخُبْرًا وَقَدُّ | فِي حُلَاهُ الَّتِي حَلَّتْ وَصِفَاتِهِ |
| نُفْحَةُ الْمُسُوكِ مِنْ شَذَا نَفْحَاتِهِ | حَجَلُ الْخَدِّ مِنْ سَنَا حَجَلَاتِهِ |
| مُرْجَاتُ حُمْرَةِ الْيَوَاقِيَتِ بِالذُّرِّ | رِ فِجَاعَتْ بِهِ عَلَى حَسَبِ ذَاتِهِ |
| مِثْلَمَا جَاءَ مِنْ سَمَاحٍ وَبَاسٍ | خُلُقُ (الْحَمِيرِيِّ) سُمِّ عُدَاتِهِ |
| إِنْ يَعِدُ فَالْوَقَاءُ حَتَمَ عَلَيْهِ | فَرَضُهُ فِي صَلَاتِهِ كَصَلَاتِهِ ⁽¹⁵⁾ |

(13) الحميري، البديع في فصل الربيع، تحقيق: د. علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1997م ص 59.

(14) الورد الجوري (Rosa damascena): من الفصيلة النباتية الوردية. ويعدّ من أقدم مجموعات نباتات الزينة، يزرع في الحدائق فيتخذ شكل شجيرات تميل إلى التسلق، أوراقها كثيرة العدد نضرة، تزهر بألوان متعددة، وأهم مواسم إزهارها هي الربيع والخريف. والوردة الجورية وردة عطرية من أهم ورود الشرق، تمتاز برائحتها النفاذة القوية، وتدخل في تركيب العطور الشهيرة والنفيسة والتمينة، تمتاز رائحتها بالنعومة والعذوبة التي تمثل الرمز لرائحة الورد الحقيقي والتأثير الجذب، والعطور التي تستخلص منها من أفضل الأنواع في العالم.

(15) الحميري، البديع في وصف الربيع، تحقيق: د. علي كردي، ص 133 / 134. الصلّات، واحداها الصلّة: العطيّة.

يستند الشاعر في تفضيله الورد إلى جملة من الصفات المتفردة: المنظر أو الهيئة (كَأَجَلِّ الْمُلُوكِ فِي هَيْئَاتِهِ، رَائِقٌ مُنْظَرًا)، الرائحة العطرة: (رائقٌ حُبْرًا، نَفْحَةٌ الْمِسْكِ مِنْ شَذَا نَفْحَاتِهِ)، اللون: (حَجَلُ الحَدِّ مِنْ سَنَا حَجَلَاتِهِ، مزجت حمرة اليواقيت بالدر). ويعبر عن قيمته مباشرةً بالدالين (أجل، رائق). في حين يعبر عن تفوقه بالتراكيب: (أجل الملوك، فد في حلاه... وصفاته، نفحة المسك...، خجل الحد...). ومن اللافت في هذه الأبيات ذلك التوظيف اللطيف لسماوات الورد في المدح، وهو ما شكّل ظاهرةً فنيّةً عند الشعراء الأندلسيين في النوريات خاصة؛ إذ برعوا في إقامة علاقة بين حالة الزهر وصفات الممدوح، ولما يطالعنا مديح لم يمهد له بوصف نور، فاستعنوا بذلك عن المقدمات الطويلة⁽¹⁶⁾. من ذلك قطعة لأبي بكر بن القوطية موصولة بمدح ذي الوزارتين أبي أيوب بن عبّاد، يعلن فيها الورد سلطانًا مفضلًا إياه على النواوير كلّها، مظهرًا عناصر رفته وجماله:

| | |
|--|--|
| نورُ الرّيا حَولُ والوردُ سلطانُ | بِذَا قَضَى قَبْلُ آذَارُ وَنَيْسَانُ |
| سِرٌّ طَوْتُهُ فُصُولُ العَامِ حَاسِدَةٌ | لِفَضْلِهِ إِذْ لَهُ السُّلْطَانُ وَالشَّانُ |
| حَتَّى إِذَا مَا الرِّيبُغُ الطَّلَقُ نَمَّ بِهِ | بَدَا وَقَدْ ضَاقَ عَن مَثْوَاهُ كِنْثَانُ |
| مُعَالِجًا فَتَحَ أَوْرَاقٍ تُطَبِّفُهُ | كَمَا يُعَالِجُ فَتَحَ العَيْنِ وَسَنَانُ |
| حَتَّى تَفْتَحَ مِنْ أَكْمَامِ بُرْدَتِهِ | كَمَا تَفْتَحُ بَعْدَ النَّوْمِ أَجْفَانُ |
| أَمَّا النَّسِيمُ فَطِيبٌ لَا أَكْيْفُهُ | وَاللَّوْنُ حُسْنًا بِهِ الْأَلْوَانُ تَزْدَانُ |
| فَمَا سِوَى الوَرْدِ فِي النُّوَارِ مِنْ مَلِكِ | وَلَا كَمِثْلِ أَبِي أَيُوبِ سُلْطَانُ ⁽¹⁷⁾ |

وللفقيه أبي الحسن بن علي⁽¹⁸⁾ قطعة راتقة متضمنة لصفات فائقة موصولة بمدح ابن عبّاد أيضًا:

| | |
|--|--|
| للوردِ فضلُ السَّنِقِ عِنْدَ المَفْحَرِ | بِالْمُنْظَرِ السَّامِي وَطِيبِ المَخْبَرِ |
| وَرَقٌّ مِنْ اليَاقوتِ نُظْمَ فوقه | شِدْرٌ مِنْ الدَّهَبِ السَّيْبِكِ الْأَصْفَرِ |
| وَنَسِيمٌ قَوِحٌ لَيْسَ يُبْلَغُ طِيبَهُ | عَبَقُ العَيْبَرِ وَلَا دُخَانُ العَنْبَرِ |
| نَقَصَ الزَّمَانُ ضَنَانَةً مِنْ عُمَرِهِ | وَكَذَا النَّفِيسُ القَدْرُ غَيْرُ مُعَمَّرِ ⁽¹⁹⁾ |
| وَالنُّورُ غَيْرُ الوَرْدِ لَيْسَ لِشَخْصِهِ | دُونَ السَّابِطَةِ ذَابِلًا مِنْ مَقْصَرِ |
| وَالوَرْدُ يَرْفَعُ عَضُّهُ وَيَبْيَسُهُ | رَفَعَ الْأَكْفَ ظُرُوفَ مِسْكِ أَذْقَرِ |
| عَمَتْ مَنَافِعُهُ كَمَا عَمَّ الوَرَى | جُودُ ابْنِ عِبَّادٍ قَرِيدِ الْأَعْصَرِ ⁽²⁰⁾ |

يرجع السبق الذي يحظى به الورد، في رأي أبي الحسن، إلى صفتين رئيسيتين: المنظر السامي وطيب المخبر. وكلمة السامي هنا تعبر عن قيمةً جماليّةً تعبيرًا مباشرًا. ولكن هذا الجمال سرعان ما يدوي أخذًا بالدبول والتلاشي، ذلك أنّ الورد، على جمال شكله ورقة نضارته، يتمايز بقصر عمره، الأمر الذي يعلّله الشاعر بقوله (وَكَذَا النَّفِيسُ القَدْرُ غَيْرُ مُعَمَّرِ)، وهو بهذا يبقي على الصفة في إطار القيمة الجماليّة، ويضيف إليها صفةً أخرى تميّزه، ولكنّها تخرج به من نطاق القيمة الجماليّة لتدخله في نطاق القيمة

(16) ينظر: عيد: يوسف، دفاتر أندلسية. في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2006م. ص 833.

(17) الحميري، المصدر نفسه، ص 130.

(18) علي بن عبد الله بن علي المعروف بالأسدي، من أهل الأدب والفضل، كان فقيهاً نحويًا من أهل قرطبة وسكن إشبيلية. بغية الملتصم 423، جذوة المقتبس 295، الذخيرة 200/1/2.

(19) الحميري، المصدر نفسه، 129 / 130.

(20) المصدر نفسه، 129 / 130.

النفعية في قوله: (والورد يرفع غضه ويبيسه) في إشارة واضحة إلى فوائده وقد يبس، ويردف مؤكداً تلك الفوائد بقوله: (عمت منافعهُ). وعلى الرغم من أن "المنفعة ليست قيمةً في الشيء المحكوم عليه، وإنما هي أثر أو امتداد له"⁽²¹⁾ فإنها تؤثر في التقييم الكلي؛ فالورد يحوز في ذروة نضارته قيمةً جماليةً ترفعه عما سواه من النواوير، فإذا ما ذبل ويبس يظلّ محافظاً على مكانته تلك، ولكن بقيمته النفعية.

■ الياسمين⁽²²⁾:

نال الياسمين ما ناله الورد من حظوة عند الأندلسيين، "وكان أكثر من افتتن بزهرة الياسمين الخلفاء والأمراء"⁽²³⁾ فكان أثر هذا الأمر اهتماماً واحتفاءً بوصفه وتفضيله لدى الشعراء، فهو أمير النور في عرف أبي علي إدريس اليماني:

أَمِيرُ النُّورِ يَأْمُرُنِي بِشُرْبِ
وَأَسْتَأْطِيقُ عَصِيَّانَ الأَمِيرِ
فَقَدْ كَأَسَّ السُّرُورِ فَاسْقِنِيهَا
عَلَى وَدِّ الأَمِيرِ عَلَى السَّرِيرِ
نُجُومٍ مِّن لُّجَيْنٍ تَجَلِّيهَا
سَمَاءَ زَيْزَجٍ خَضِلٍ نَضِيرِ⁽²⁴⁾

وهو ملك استوى على كرسي ملكه، عند أبي عامر بن مسلمة:

وَذَكَيِّ العَزْفِ لَأَقْوا
نَا عَلَى كُرْسِيِّ مُلْكِهِ
أَرْضُهُ الخَضْرَاءُ بَحْرٌ
نَّوْرُهُ فِيهِ كَفْلِكُهُ
يَاسِمِينَ قَدْ عَدَّتْ أَنْ
وَارْزَنَا طَوْعًا لِمَلِكِهِ⁽²⁵⁾

يتجلى تفرد الياسمين، ضمن الأبيات السابقة، في رائحته العطرة، وخضرته الكثيفة النضرة التي تبدو مثل بحر تتراءى فيه الأزهار كالفلك. هذا الجمال الممتزج بالجلال يجعله أهلاً لأن يكون ملكاً تدين له النواوير كلها بالسمع والطاعة. فالسلطة في عالم النواوير ليست للأقوى والأقدر، وإنما للأجمل والأبهى.

والياسمين ملك الجمال المترع على عرش الخضرة النضيرة، كما رسمه خيال أبي بكر بن القوطية:

وَأَبْيَضٌ نَاصِعٌ صَافِي الأَدِيمِ
تَطْلُعُ فَوْقَ مُخْضَرٍّ بِهِيمِ
نَزِيهُ النُّفْسِ هَمَّتُّهُ المَعَالِي
ذَكَيِّ العَزْفِ مِسْكِي النَّسِيمِ
فَلَسْتُ تَرَاهُ إِلَّا عِنْدَ مَلِكِ
وَالَا عِنْدَ خَاصِيِّ كَرِيمِ
شَأَى النُّوَارَ فَارْتَقِعَ اعْتِرَاشًا
عَلَيْهِ كَهَيْئَةِ المَلِكِ العَظِيمِ⁽²⁶⁾

(21) إسماعيل، عز الدين، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، ط2، 1955م، ص 91.

(22) (فارسية معربة): نبات عطري متسلق، له أوراق مركبة ريشية متقابلة، وفي الفصح يدعى (سمسق)، وهو اسم يطلق على نحو ممثلي نوع من الشجيرات المزهرة التي تتبع الفصيلة الزيتونية. وتكون أزهاره بيضاء أو صفراء أو قرنفلية اللون، عطرية محمولة على نورات محدودة ذات شعبتين تأخذ في التدوير أكثر مما تأخذ في الارتفاع، وهو بستاني وبري، فالبيستاني على ثلاثة أنواع: أبيض وأصفر وأسود. وأكثره الأبيض ذو أربع شرفات أو خمس، ويكون عطر الرائحة، وأعطر ما هو في زمن الصيف. وتعرف أزهار الياسمين بلقب "ملكة الزهور" وهي من أقدم الزهور المستعملة على نحو واسع في صناعة العطور.

(23) الشكعة، الأدب الأندلسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 2008م، ص 283.

(24) الحميري، المصدر نفسه، ص 99.

(25) المصدر نفسه، ص 97/98.

(26) المصدر نفسه، ص 99.

مما يلفت الانتباه في هذه الأبيات أنّ الشاعر ينطلق في تفضيله الياسمين من خاصية اعتراضه التي تميزه من غيره من النواوير فينعتة بدايةً بـ(نزيه النفس همتة المعالي)، ثم يردّ علة اعتراضه إلى تفوقه وارتفاع قدره عما سواه، وهذا ما اقتضى علوه وارتفاعه في المكان، حتى غدا في هيئته كالمملك العظيم الذي يتربع على عرشٍ لا ينازعه فيه أحد.

■ الآس (27):

أمّا الآس، فقد فضّل قديماً على ضروب الأنوار وصنوف الأزهار، وصيغت في ذلك حسان الأشعار، إذ إن شجره يقوم مقام النوار، ثمّ يزيد نواره جمالاً ثانياً⁽²⁸⁾. وعده الشعراء سيّد الرياحين⁽²⁹⁾؛ لدوام نضرتة وخضرتة زيادةً على عرفه حتى في زمن الجفاف، واتخذوه رمزاً⁽³⁰⁾ للوفاء، فهذا أبو جعفر بن الأَبَر ينعتة بالوفي بين النواوير الغادرة:

لَا أَيَّاسَ الْآسِ هَامِي السَّكْبِ مِدْرَارُ فَهَوَ الْوَفِيُّ وَكُلُّ النَّوْرِ عَدَارُ
تَكَادُ تُثْمِرُ نَفْسُ الصَّبِّ مِنْ جَدَلٍ إِذَا بَدَا ثَمَرٌ مِنْهُ وَثَوَارُ
كَأَنَّمَا اللَّبَسَتْهُ الْمُزْنُ خُضِرَ حُلَى لَهَا مِنَ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ أَزْرَارُ⁽³¹⁾

ينحاز الشاعر بالقيمة الجمالية إلى الذات فيصف أثر جمال الآس؛ إذ (تكاد تثمر نفس الصب من جدل) وفي هذا إشارة لطيفة للذة الجمالية التي تنتشي بها الذات في معاشتها الآس، ولعله أراد بهذه الاستعارة الإشارة إلى تفرد الآس الذي يجمع إلى جمال الزهر جمال الثمر، فضلاً عن دوام خضرتة، وقد عبّر عنها بقيمة أخلاقية (الوفاء).

■ البهار (32):

وللبهار من الجمال والصفات المتميزة ما يجعله أثيراً عند كثيرٍ من العشاق والشعراء، فهذا أبو الحسن بن علي الأشجعيّ يفضله على ما سواه، نافيةً وجود نظير له بين النواوير، فيقول:

مَا لِلْبَهَارِ نَظِيرٌ فِي النَّوَاوِيرِ إِذْ صَارَ أَوَّلَ مَخْصُوصٍ بِتَبْكَيرِ
أَمَا تَرَى الصَّبَّ وَالْمَعْشُوقَ قَدْ جُمِعَا فِي لَوْنِهِ بَيْنَ تَبْيِضٍ وَتَصْفِيرِ
كَأَنَّمَا رَقَّ لِلْعُشَّاقِ مَنْظَرُهُ فَعَجَّلَ النَّوْرُ مِنْ بَيْنِ النَّوَاوِيرِ
أَحْبَبَ بِهِ فَلَقَدْ أَنْبَأَ بِطُلْعِهِ عَنِ السُّرُورِ وَأَثْمَامِ النَّبَاشِيرِ⁽³³⁾

تتماهى الرقة مع الجمال في وصف البهار؛ إذ يتفرد بألوانه التي تحاكي الصب (الأصفر) والمعشوق (الأبيض)، وكأنّ هذه المحاكاة تمثيلاً حسّي لتعاطف البهار المعنوي مع العشاق، لذلك فهو يسارع للتفتح بداية الربيع ليكون بشيراً لهم بين يدي قدوم زمن المسرة والوصال.

(27) الآس (باللاتينية: Myrtus) جنس نباتي من الفصيلة الآسية، يبضي الورق، أبيض الزهر، ثماره صغيرة ذات لون أبيض أو أسود تسمى حب الآس. وهو من الرياحين التي أحبها العرب وذلك لبقائه ودوام نضرتة وخضرتة زيادة على عرفه حتى زمن الجفاف، فعّد سيّد الرياحين.

(28) الحميري، المصدر نفسه، ص 92.

(29) ينظر: اليافي، دراسات فنية في الأدب العربي، ص 291.

(30) ينظر: عيد، أوراق أندلسية، ص 305.

(31) الحميري، البديع في وصف الربيع، ص 95.

(32) جنس نباتي يتبع الفصيلة النرجسية، ينمو من بصلّة سنوية مبكرة معمرة، له أصناف وأنواع كثيرة أشهرها اثنان: أصفر وأبيض. للأصفر ورقة كورق الزعفران، تلتوي أطراف الأوراق وترجع إلى جانب الأرض وساقها تعلق نحو شبر أو شبرين، لمساء خضراء وقد ذكره الشعراء كثيراً ومدحوه وشبهوا العيون الفواتر به لانتكساره وميله، والأبيض ورقه كأطراف الحلقة يمتد على الأرض وله ساق خضراء في أعلاها زهر أبيض وفي وسطه أصفر وله رائحة قوية ويعرف بالبحار. يظهر في الشتاء وبعد نزول المطر.

(33) الحميري، البديع في فصل الربيع، ص 103.

■ البنفسج (34):

وللبنفسج حضوره الأسر النبيل، ولونه المتفرد الذي أشكل وصفه على الشعراء؛ فحث قرائحهم للبحث عن قرينه، وعطره الذي لا يماثله في طبيبه أي عطر، لذلك استحق التفضيل على مذهب أبي الأصبع بن عبد العزيز:

| | |
|--|--|
| وَيَنْفَسِجِ أَرْزَى عَلَى النَّوَارِ | وَأَفَادَنَا عَطْرًا بِسَلَا عَطَارِ |
| فَكَأَنَّ أَعْلَاهُ فِي فَيْرُورِجِ | وَبِسَاطُهُ فِي خُضْرَةِ الْأَشْجَارِ |
| وَأَفَاكٍ فِي وَقْتِ الزِّيَارَةِ قَائِمًا | وَقَدْ انْحَنَى لِلوَحْيِ بِالْأَسْرَارِ |
| هُوَ مِسْكَةٌ خُلِقَتْ لَهَا أَوْرَاقُهَا | فِي لَوْنِهَا مِنْ صَنْعَةِ الْجَبَّارِ |
| أَوْ رُفْعَةً زَرْقَاءَ مِنْ كَبِدِ السَّمَاءِ | فِي يَوْمِ صَحْوِ فِتْنَةِ النَّظَارِ |
| أَوْ لَمَّةَ الْحَسَنَاءِ تَحْسِبُ وَسَطَهَا | لِلزَّرْعَفَرَانِ مَوَاضِعِ الْآثَارِ |
| أَوْ لُجَّةَ كَحْلَاءَ هَزَّتْهَا الصَّبَا | فَتَكْسَرَتْ لِينًا عَلَى مِقْدَارِ (35) |

تماهي زهرة البنفسج الصغيرة بين قيمتي الرقة والجمال؛ فالصور التمثيلية (الشكلية، اللونية) التي رسمها الشاعر لها (انحنى للوحي بالأسرار، مسكئة، رُفْعَةً زَرْقَاءَ... فِتْنَةُ النَّظَارِ، لَمَّةُ الْحَسَنَاءِ... لِلزَّرْعَفَرَانِ مَوَاضِعِ الْآثَارِ، لُجَّةَ كَحْلَاءَ هَزَّتْهَا الصَّبَا فتكسرت لينا) توحى كلها بالأنوثة والتزين واللين والتعطف، وكلها ملامح تشي بالرقة واللطيف.

■ النيلوفر (36):

ولزهرة النيلوفر الجميلة المترفعة مكانة عند الأندلسيين، وقد افتتن بها الشعراء وأولعوا بوصفها، فهي تتميز بخاصية فريدة، تضاف إلى تفوقها بالمنظر الجميل والرائحة العطرة؛ إذ إنها تتفتح نهارًا، فإذا ما أقبل الليل غلقت بتلاتها وكتمت عطرها، وهذا الأمر يبتدع فيه أبو الأصبع بن عبد العزيز تعليلاً طريفاً:

| | |
|---------------------------------------|--------------------------------------|
| وَنَيْلُوفَرٍ فَاقَ فِي فَضْلِهِ | صُنُوفَ النَّوَابِيرِ مِنْ شَكْلِهِ |
| وَقَاتَهُمُ بِالَّذِي حَاوَاهُ | كَمَا قَصَّرَ الْكُلُّ عَنْ نَيْلِهِ |
| يُيَسِّحُ نَهَارًا لَزُورِهِ | مُحِيًّا يُرْعَبُ فِي وَصْلِهِ |
| وَيَمْنَعُ بِاللَّيْلِ مِنْ وَجْهِهِ | لِيَأْخُذَ بِالْحَزْمِ فِي فِعْلِهِ |
| كَبَائِعِ عَطْرِ بَخَانُوتِهِ | ضِيَاءِ النَّهَارِ إِلَى لَيْلِهِ |
| فَإِنْ جَاءَهُ اللَّيْلُ أَفْضَى بِهِ | إِلَى سَدِّهِ وَإِلَى قَفْلِهِ (37) |

(34) البنفسج (بالإنجليزية: Wild Viola): جنس نباتي ينتج أزهارًا بنفسجية أو بيضاء اللون. ويوجد منها من أربعئة إلى خمسمئة نوع مختلف حول العالم، وهو نبات عشبي معمر لا يعرف موطنه الحقيقي، ولكنه نشأ في أوروبا وآسيا وأفريقيا، وأوراقه قلبية الشكل وأزهاره بنفسجية اللون ذات رائحة عطرية، وينتج النبات الجيد سنويًا بمعدل 125 زهرة في المتوسط في موسم طويل يبدأ من أواخر الشتاء وينتهي في أواخر الربيع.

(35) الحميري، المصدر نفسه، ص 110.

(36) النيلوفر أو (اللوتس Lotus): هو نبات مائي مزهرّ تتميز أزهاره بتلاتها الدائرية الكاملة وقرنتها ذات الشكل الإسطواني، التي تبرز في العادة إلى الأعلى. يحمل نبات النيلوفر أزهارًا كبيرةً ومجوفةً وبألوانٍ متنوعةٍ تتراوح بين الأبيض النقي والأحمر الوردية. تنمو الأزهار العطرية فوق ساقٍ طويلةٍ ونحيلةٍ، تظهر فوق أوراقٍ ناعمةٍ تشبه مظلةً مقلوبةً، هذه الأقراص المسطحة ذات اللون الأخضر المزرق يمكن أن يصل قطرها إلى قدمين. تزهر أزهار النيلوفر كلها في النهار؛ إذ تتفتح أزهارها عند الفجر وتقل عند الغسق طوال خمسة أيام، عندما يولي اليوم الخامس تسقط بتلات الزهرة ليظهر مكانها قرنة خضراء لينة تتحني نحو الماء وتلقي بذورها، لتبدأ دورة حياة جديدة.

(37) المصدر السابق، 147.

يؤكد الشاعر تفوق النبلوفر بتراكيب ثلاثة: (فاق في فضله صنوف النواوير...)، (فاتهم بالذي حازه)، (قصر الكلّ عن نبيله)، وعلى الرغم من أنّ هذه الصفة التي تفوق بها ليست جمالية، فإنّ الشاعر يوحي بأنها توجب تفضيله، ورفع شأنه عن سواه.

■ **زهر اللوز** (38):

ولزهر اللوز من الحسن والجمال ما يبوّئه مكانةً رفيعةً بين النواوير، تتوازي وارتفاعه فوق أغصان الشجر، يقول أبو عامر بن مسلمة في تفضيله:

| | |
|--|---|
| يَا زَهَرَ اللَّوْزِ لَقَدْ فَفَّتْ فِي الْـ | إِحْسَانِ وَالْحُسْنِ فَأَنْتَ الْبَدِيعِ |
| قَدْ حُرِّتْ حُسْنَيْنِ وَحَارَتْ نَوَا | وَيَرُ الرِّبَا حُسْنًا فَأَنْتَ الرَّفِيعِ |
| تَعْلُو بَهَارَ الرُّوْضِ حُسْنًا فَقَدْ | أَصْبَحْتُ مَخْصُوصًا بِحُبِّ الرَّيِّعِ |
| قَدْ أَمَّكَ الْوُصَّافَ إِذْ شَبَّهُوا | غَيْرَكَ بِالْخَدِّ وَجَارَ الْجَمِيعِ |
| فَلَوْ أَنَّكَ الْمُشْرَبُ فِي حُمْرَةٍ | مَنْ يَرَهُ أَصْبَحَ لَا يَسْتَطِيعُ |
| دَفَعًا لَمَّا قُلْتَ إِذَا عَائِنُوا | جَمَالَكَ النَّوْرَيْنِ عِنْدَ الطُّلُوعِ |
| فُقِّتَ النَّوَاوِيرَ اعْتِلَاءً فَمَا | فِي زَهْرِهَا غَيْرُ سَمِيعٍ مُطِيعِ (39) |

يحدّد الشاعر مجال التفوق ومن ثم التفضيل بالإحسان والحسن؛ فأما الحسن، فهو الجمال المتأتي من بياض ناصع مشرب بالحمرة، وأما الإحسان، فيتأتى من ارتفاعه فوق الأغصان، وقد أبدع الشاعر في تحويل الجنس الناقص بين الإحسان والحسن إلى علاقة وثيقة بين المعيار الجمالي والمعيار غير الجمالي، وهو ما يوّد في نفس المتلقي شعورًا بأحقية هذا النور بالتفضيل.

■ **الخيرى الأصفر** (40):

ويتفوق الخيرى الأصفر ذو اللون المتألق على بقية أنواع الخيرى، بأنه يطلق عبيره في كلّ وقت، فلا يمنعه كغيره ليلاً أو نهارًا، لذلك يفضّله أبو عامر بن مسلمة ويعلي قدره فيقول:

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| أَصْفَرُ الْخَيْرِيِّ عِنْدِي | أَرْفَعُ الْخَيْرِيِّ قَدْرًا |
| فَهُوَ لَا يَمْنَعُ عَرْفًا | وَهُوَ لَا يَحْمِيكَ عَطْرًا |
| مِثْلَ لَوْنِ الذَّهَبِ الْخَا | لِصِّ لَكِنْ فِاقَ نَشْرًا |
| وَعَدَا يَحْكِي الْبِوَاقِي | تَ إِذَا مَسَاكُنْ صُفْرًا |
| مِثْلَهُ اسْتَوْجَبَ مَنِّي | أَبَدًا سُكْرًا وَسُكْرًا (41) |

يضي الشاعر على التفضيل في هذه الأبيات صبغة ذاتية فردية يعلنها في مطلعها (أصفر الخيرى عندي)، ثم يؤكد في ختامها (مثله استوجب مني...). وتتجلى القيمة الجمالية للأصفر الخيرى برائحته العطرة المتاحة دائمًا، ولونه الذي يحكي لون الذهب الخالص تارةً والبواقيت الصفر تارةً أخرى.

(38) اللوز: هو أحد أنواع جنس البرقوق يتبع الفصيلة الوردية، شجرته متناسقة الشكل يصل ارتفاعها إلى 12م، ولها أوراق طويلة ملتفة ومدببة الرأس، تتميز بأزهارها الجميلة ذات اللون القرمزي الرائع، وتظهر هذه الأزهار وتتفتح في أوائل الربيع وقبل ظهور الأوراق بوقت طويل، وحينما يتم لقاح هذه الأزهار، فإن كل واحدة منها تتحول إلى ثمرة تنمو داخل قشرة ناعمة ورقيقة، وعندما تنضج الثمرة الداخلية التي هي حبة اللوز، فإن القشرة تتحول إلى غلاف جاف خشبي الشكل.

(39) الحميري، المصدر نفسه، ص 152.

(40) الريحان (بالإنكليزية: Basil): وقد أطلقت اللغة العربية لفظ الريحان على كلّ نبت طيب الريح كالنرجس والمنثور وغيرهما. ولكنّ اللفظ أصبح يطلق بوجه خاص عند الناس على ما يدعى "الحبق" بالعربية، وهو نبات عطريّ من الفصيلة الشفوية. وله أنواعٌ متعدّدة ولكنّ كتب اللغة والأدب العربيّة ليست متفقّة تمام الاتفاق في وصف كلّ من هذه الأنواع وتسميته. ومن أشهر أنواعه الخيرى النمام والخيرى الأصفر.

(41) الحميري: المصدر نفسه، ص 89.

■ الجنار:

وينفرد الجنار بلونه الناري المتوقد، فهو أحلى حُلَى من سائر النواوير في رأي أبي الوليد الحميري:

| | |
|---------------------------------|--|
| وَجُنُنَارٍ تَبَّـدَى | يَخْتَالُ فِي جُلِّ نَارِ |
| أَحْلَى حُلَى مِنْ جَمِيعِ الْـ | أَنْوَارِ وَالْأَزْهَامِ |
| حَكَى خُدُودَ الْعَذَارَى | قَدْ شُرِّبَتْ بِأَحْمَرِ |
| وَحُمُشَاتٍ بِأَكْفِ الْـ | أَلْحَاطِ وَالْأَبْصَارِ ⁽⁴²⁾ |

يعبر الشاعر عن القيمة والتفضيل بلفظ واحد (أحلى)، ثم يختار مقابلاً لونياً يمتاز برقته (خدود)، ويقصره على العذارى اللواتي يعرفن بشدة خجلهن، وليس أدل على الخجل من حمرة الخد، الذي يجذب الألباح لحسنه، فتزيده الألباح حمرة على حمرة، فتبدو العيون المتعلقة به كأنها أكف تخمسه، وكأنما أراد الشاعر بهذا أن يجمع للزهرة ما يحاكيها في اللون والقيمة الجمالية (الزفة)، فيوجب لها التفضيل.

وهكذا نجد أن الشاعر الأندلسي في كتاب البديع في فصل الربيع يصب جَلَّ اهتمامه في التفضيل المطلق على الموضوع المفضل في عناصره المتفوقة وصفاته المميزة، دون الالتفات إلى غيره من الموضوعات إلا بوصفها قاصرة عن مداناته في الكمال، تاركاً آليات الموازنة والمقارنة لنوع آخر من التفضيل.

2. التفضيل المقارن:

ويكون بتفضيل نورٍ على آخر في إطار مقطعات، تقوم على المقارنة وإظهار ما وقع بينهما "من تفضيلٍ وتغليب، أو جرى بينهما من تفاضل وتفاخر، فإن تلك القطع تشتمل على مدح نورٍ، وندم آخر، فهما موصوفان، ولم تنفرد القطعة بنور، وإنما اشتملت على نورين، وتضمنت وصف شيئين، وأكثر ما وقع هذا قديماً في الورد والبهار"⁽⁴³⁾. ويرجع ذلك إلى عوامل عدة؛ منها ما يتصل بصفاتهما الخاصة كاللون والشكل والرائحة وزمن النفتح وغيرها، ومنها ما يتصل بالاهتمام الجمالي، والتحفيز الإبداعي الذي نشأ في ظل المنافسة الأدبية بين المغرب والمشرق، تلك التي تجلت في رد كثيرٍ من الشعراء على ابن الرومي في تفضليه البهار على الورد. ولصاحب الشرطة أبي بكر بن القوطية قصيدٌ يرد فيه على ابن الرومي؛ يصفه أبو الوليد في كتابه البديع بأنه "قولٌ مستولٍ على غاية الكمال، مستوفٍ نهاية الجمال موصولٌ بمدح ذي الوزرتين القاضي الأجل، الرفيع المحل. وهو من أوله إلى آخره"⁽⁴⁴⁾:

| | |
|--|--|
| كُسِفَتْ خُدُودُ النَّرْجِسِ الْمُصَفَّرِ | حَسَدٍ، وَقَدْ يَذُوي الْعَدُوُّ الْحَاسِدُ |
| وَاصْفَرَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَقْضِي أَسَى | لَمَّا رَأَى الْوَرْدَ الَّذِي هُوَ وَارِدُ |
| هِيَهَاتَ لِلْوَرْدِ الْقَضَائِلِ كُلِّهَا | وَإِنْ ادَّعَى التَّكْذِيبَ فِيهِ مُعَانِدُ |
| فَصَلَّ الْقَضِيَّةَ أَنَّ هَذَا مُتَمَعٌ | فَصَلَّ الرَّبِيعِ، وَكُلُّ نَوْرِ بَائِدُ |
| يَأْتِي وَنُورُ النَّرَى مُتْرَحِزٌ | وَكَذَا الرَّئِيسُ مِنَ الْمَشَابِهِ وَاجِدُ |
| هَذَا مُقَرُّ لِسَّمَاءٍ بِفَضْلِهَا | فِيمَا غَدَّتْهُ بِهِ وَهَذَا جَاجِدُ |
| وَتَرَى تَبَايِنَ ذَلِكَ فِي وَجْهَيْهِمَا | بِاللَّوْنِ وَالنَّشْرِ الَّذِي هُوَ شَاهِدُ |
| كَمْ بَيْنَ مُصْطَنِعَيْنِ : هَذَا كَافِرٌ | إِفْضَالِ سَيِّدِهِ، وَهَذَا حَامِدُ |

(42) المصدر نفسه، ص 164.

(43) الحميري، المصدر نفسه، ص 75.

(44) المصدر نفسه، ص 78.

هذا له خلق العجوز وهذِهِ
وكفى افتخاراً أن هذا نافقٌ
لو لم يكن للورد إلا أنه
ولهُ منافع لا تجمُلُ كثرةً
والنرجس المصفر ليس بنافعٍ
هذا عقيمٌ لا يُشادُ بذكره
أخوان مقرونان لم يتنازعا
هذا يُبشّرُ بالحياةِ وذلك يُن
"أين الحياة من المماتِ نفاسةً
عذراء في حُمُرِ المجاسيدِ ناهدٌ⁽⁴⁵⁾
غضًا ومبتدلاً، وهذا كاسدٌ
يقنى ويقي ماؤه المتعاهدُ
ومرافقٌ مشكورةٌ وفوائد
ميثًا ولا في الروضِ إذ هو وافدٌ
أبدًا وعقبُ الوردِ باقٍ خالدٌ
شبهًا، وبينهما إحاءٌ تالدٌ
نُرُّ بالمماتِ إذ أتاه العائدُ
ورياسةً لولا القياسُ الفاسدُ⁽⁴⁶⁾

وبين الجدول الآتي مجالات التفاضل بينها:

| البهار | الورد | اللون | زمن التفتح |
|----------------|--|------------------------------------|-----------------|
| التبكير | التأخر (يأتي وتوارى الترى مترخزح) | مُفَرِّ للسماءِ بِفَضْلِها | اللون |
| جاجدٌ | مُفَرِّ للسماءِ بِفَضْلِها | عَذراءُ في حُمُرِ المَجاسيدِ ناهدُ | النشر |
| جاجدٌ | عقبٌ لا يُشادُ بِذكره | نافقٌ غضًا ومبتدلاً | الرواء والنضارة |
| خَلقُ العَجوزِ | ليس بنافعٍ ميثًا ولا في الروضِ إذ هو وافدٌ | وله منافعٌ لا تجمُلُ كثرةً | المنافع |
| كاسد | عقبٌ لا يُشادُ بِذكره | وعقبُ الوردِ باقٍ خالدٌ | |
| | ينذر بالممات | يُبشّرُ بالحياةِ | القيمة الكلية |

يقول أبو الوليد الحميري: (وقوله "أين الحياة من الممات... البيت هو لابن الرومي وأتقن الرّدّ عليه فيه، وبيت ابن الرومي:

أَيْنَ العُيُونِ مِنَ الخُدودِ نفاَسَةٌ ورياسَةً لَوَلا القِياسُ الفاسِدُ⁽⁴⁷⁾

ويبدو أنّ ابن القوطية انطلق في بناء القطعة الشعرية من حيث انتهى ابن الرومي من نقطة المقابلة، ولكنه لم يتركها معقودةً بين العيون والحدود، وإنما نقلها لتصبح بين الحياة والممات. وفي حين تنشأ ثنائية ابن الرومي من المقابلة بين الزهرتين في مجالين مختلفين؛ فالنرجس يحاكي العين في شكله، في حين يحاكي الورد الخد في لونه، تنشأ ثنائية ابن القوطية في مجال واحد هو اللون بكل ما يحمله من إحياءاتٍ راسخة في الوعي الجمعي للبشرية؛ فالأحمر لون الحياة والنشاط، والأصفر لون السقم والكمذ. وتحت العنوان الرئيس (الحياة . الممات) تنضوي مجموعة من الثنائيات الضدية التي تضي على المقارنة مزيداً من القوة والحيوية. إنّ تفضيل الشاعر للورد ينبع من قيمته الجمالية التي يجدها الشاعر أعلى وأولى بالاهتمام من قيمة النرجس الجمالية. ولعلّ قوة انفعال الشاعر بجمال الورد هو ما أمّد النص بهذا الدفق الشعري.

ومن اللباب في هذا الباب رسالة كتب بها الوزير أبو حفص أحمد بن محمد بن بُرد إلى الوزير أبي الوليد بن جمهور وصف فيها نواوير خمسة هي: النرجس الأصفر، والبنفسج، والبهار، والخيري النمام، والورد، وغرضه تفضيل الورد بينها وتقديمه عليها. وفي

(45) المجاسد: جمع المَجسد: الثوب الملامس للجسد.

(46) الحميري، المصدر نفسه، ص 79.

(47) ينظر: المصدر نفسه، ص 79، ابن الرومي، الديوان، تحقيق: حسين نصار، ج 2 / ص 644.

معرض رسالته يعلل تفضيله الورد على لسان قائم النواوير فيقول: "فينا من له المزية علينا، ومن هو أولى بالرياسة منا، ومن يجب علينا الترحم ومد اليد بالمبايعة، وإعطاء مجهود المحبة، وبذل ذات النفس، وهو الورد. فهو الأكرم حسباً، والأشرف زمناً، والأتم خصالاً، والذي إن فقدت عينه لم يفقد أثره، وغاب شخصه لم يغب عرفه، والطيب إليه كله محتاج، وهو عن كيفية مستغن، وهو أحمر والحمرة لون الدّم، والدّم صديق الرّوح، وصيغة الحياة، وهو كالياقوت المنضد في أطباق الزّبرجد عليها فرائد العسجد. وأمّا الأشعار فبمحاسنه حسنت، وباعتدال جماله وزنت"⁽⁴⁸⁾ وقد ضمن أبو حفص الرسالة شعراً على لسان النواوير الخمسة تبايع كل منها الورد وتشهد بملكه ومنها:

شهادة النرجس:

شَهِدَ النَّـرْجِسُ وَاللّٰهُ يَرَى
أَنَّ لِلـوَرْدِ عَلَيْهِ بَيْعَةً
صِحَّةَ النَّيَّاتِ مِنْهَا وَالْمَرَضُ
أُكِّدَتْ عَقْدًا فَمَا إِنْ تَنْقِضُ⁽⁴⁹⁾

شهادة البنفسج:

شَهِدَ الْبَنْفَسِجُ أَنََّّهُ
يَسْعَى بِقَلْبٍ نَاصِحٍ
لِلـوَرْدِ عِبْدٌ تَمُّكَ
فِي حُبِّهِ مُسْتَهْلِكٌ⁽⁵⁰⁾

شهادة البهار:

شَهِدَ الْبَهَارُ وَذُو الْجَلَالَةِ عَالِمٌ
أَنَّ الْإِمَارَةَ فِي الْأَزْهَارِ كَلَّهَا
بِصَاحِبِ مَا يُبْدِي وَمَا يُخْفِيهِ
لِلـوَرْدِ لَا يُؤْتِي لَهْ بِشَبِيهِ⁽⁵¹⁾

شهادة الخيري التمام:

شَهِدَ الْخَيْرِيُّ بَرًّا صَادِقًا
أَنَّ أَزْهَارَ النَّوْرِ أَجْمَعَهَا
قَوْلًا أَبْعَدَ عَنْهَا الدَّرَكُ
أَعْبُدُ وَالـوَرْدُ فِيهَا مَلِكٌ⁽⁵²⁾

ثم إن أبا الوليد الحميري أرفد رسالة أبي الحسن برسالةٍ مشتملةٍ على وصف سبعة أنوار وغرضه الردّ بتفضيل البهار على الورد خاطب بها ذا الوزارتين القاضي ابن عباد، يقول في معرضها: "قبأي شيء أوجبت تقديمه [الأزهار والنواوير-]، ورأت تأهيله لما غيره أشكل له، وأحقّ به، وهو نور البهار البادي فضله بدو النهار، والذي لم يزل عند علماء الشعراء، وحكماء البلغاء، مشبهًا بالعيون التي لا يحول نظرها، ولا يحور حورها، وأفضل تشبيهه للورد الخدّ عند من تشيع فيه، وعني به، وأشرف الحواس العين، إذ هي على كلّ منوّل عون، وليس الخدّ حاسةً، فكيف تبّلغه رياسة؟"⁽⁵³⁾ ثم يورد بيت ابن الرومي الآنف، وكما ضمن أبو حفص رسالته شعراً على لسان النواوير المعترفة بفضل الورد ضمن أبو الوليد رسالته نثرًا وشعراً على لسانها ذاتها تعود فيه عن خطئها في تقديم الورد معترفةً للبهار بأحقيته في ذلك، ومن ذلك الشعر:

(48) الحميري، البديع في فصل الربيع، ص 60/59.

(49) المصدر نفسه، ص 63.

(50) المصدر نفسه، ص 63.

(51) المصدر نفسه، ص 63.

(52) المصدر نفسه، ص 63.

(53) الحميري، البديع في فصل الربيع، ص 65.

شهادة البنفسج:

أَمَّا الْبَنْفَسَجُ فَهُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ
مُنْبَرِيٌّ مِنْ بَيْعَةِ الْوَرْدِ الَّتِي
مُنْبَيِّنٌ فَضْلَ الْبَهَارِ وَ عَالِمٌ
مُنْدَمٌّ مِمَّا جَنَى مُنْتَصِلٌ⁽⁵⁴⁾
لَمْ يَبْرَ مِنْهَا دَاوُهُ الْمُتَّصِلُ
أَنَّ الْبَهَارَ هُوَ الْمَلِيكُ الْأَفْضَلُ⁽⁵⁵⁾

شهادة النرجس:

أَشْهَدُ النَّرْجِسَ إِشْهَادَ مُحِقِّ
وَرَأَى أَنَّ الْبَهَارَ الْمُجْتَلَى
فَمَتَى كُذِّبَ قَوْلُ أَبَدًا
أَنَّ بَدْرَ الْوَرْدِ فِي الْمُلْكِ مُحِقٌّ
فِي سَمَاءِ الْحُسْنِ بِالْمُلْكِ أَحَقُّ
قِيلَ فِي قَوْلَتِهِ هَذَا صَدَقَ⁽⁵⁶⁾

شهادة الخيري:

أَشْهَدَ الْخَيْرِيَّ أَنَّ الْخَيْرَ فِي
مُوقَفًا أَنَّ الْبَهَارَ الْمُرْتَضَى
فَهُوَ الْمَوْقِفُ أَنْوَارَ الرُّبَا
نَقَضَ مَا أَخْطَأَ فِيهِ أَوْلَا
بَهَرَ الْأَمْلاكَ حَالًا وَخَلَى
مِنْ سِنَاتٍ سَنَّا فِيهَا الْبَلَى⁽⁵⁷⁾

شهادة الأفيون:

أَشْهَدَ الْأَفْيُونَ أَنَّ جَنَاهُ
قَائِلٌ قَوْلَ مَنْ تَبَرَّأَ قَدَمًا
إِنَّ نَوْرَ الرُّبَا عَيْدٌ وَكُلُّ
كَافِرٍ بِالَّذِي سِوَاهُ جَنَاهُ
مَنْ هَوَى مَنْ قَضَى عَلَيْهِ هَوَاهُ
لِلْبَهَارِ الْبَهِيَّ يَقْضِي وَلَاهُ⁽⁵⁸⁾

شهادة الخيري الأصفر:

أَصْفَرُ الْخَيْرِيَّ يَشْهَدُ
وَيَرَى أَنَّ الْبَهَارَ أَلْوَنَ
مَلِكٌ يَقْظُ أَنْ يَأْتِي
أَنَّ عَقْدَ الْوَرْدِ قَدْ رُذِّ
مُنْتَقَى أَعْلَى وَأَمْجَدُ
وَصُفْوَةُ النُّورِ هُجَّدُ⁽⁵⁹⁾

ولعلَّ أبرز ما يلحظ في جملة الشهادات السابقة أنَّ الشاعر يسلط الضوء في مبايعة النواوير الخمسة على مواطن التفرد في البهار مستفيداً من فنون البيان والبديع في تأكيد صحة ما ذهب إليه في تفضيله.

(54) مندَم: ملوم.

(55) الحميري، البديع في فصل الربيع، ص 70.

(56) المصدر نفسه، ص 71.

(57) المصدر نفسه، ص 71. سنات، واحدها سِنَّة: الثعاس، وأول النوم.

(58) المصدر نفسه، ص 72.

(59) المصدر نفسه، ص 72. هُجَّد: نيام.

وتكمن أهمية الرسالتين في شكلهما؛ ذلك أنهما تجمعان خصائص التفضيل المطلق إلى خصائص التفضيل المقارن؛ إذ تعرض كل واحدةٍ منهما تفضيل نورٍ على نورٍ في سياقٍ قصصي يقوم على حوار يدور بين مجموعةٍ من أجمل النواوير وأشهرها، وهي التي ينعتها أبو حفص بـ "رؤساء الأنوار".

ومن المفاضلات الشائعة أيضاً المفاضلة بين البنفسج والخيري، ومثال ذلك قطعان وقعتا بين الوزير أبي الأصبع بن عبد العزيز وصاحب الشرطة أبي بكر القوطية؛ يفضل أبو الأصبع الخيري في الأولى، ويردّ عليه أبو بكر بتفضيل البنفسج في الثانية، وقطعة أبي الأصبع موصولة بمدح ذي الوزارتين القاضي ابن عباد:

| | |
|--|---|
| مُتَحَامِلًا وَيَعُدُّ ذَاكَ جَمِيلًا | مَا لِلْبَنْفَسَجِ يَدْعِي التَّفْضِيلًا |
| حُكْمَ التَّنَاصُفِ وَاتُّرِكَ التَّخْيِيلًا | هِيَ هَاتِ قَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ فَعُدَّ إِلَى |
| جَهْلِهِمَا وَلَمَّا يُحْسِنُوا التَّأْوِيلًا | الْفَضْلُ لِلْخَيْرِيِّ إِلَّا أَنَّهُمْ |
| فِي الشَّمِّ بِالْمِسْكِ الذِّكْيِ ذَلِيلًا | قَهَرَ الْبَنْفَسَجَ مَنْظَرًا وَيُفَوِّقُهُ |
| ظَرْقًا فَعَطَّلَ صُبْحَهُ تَعَطُّيلًا | وَرَأَى التَّنَسُّرُ بِالنَّسِيمِ لَصُبْحِهِ |
| أَبْدَى بِهِ لِلرَّائِرِينَ قَبُولًا | وَإِذَا أَتَى اللَّيْلُ الْبَهِيمُ يَنْشُرُهُ |
| خِلًا وَيُذْنِي بِالْمَسَاءِ خَلِيلًا | كَمْ هَدَّبَ الْأَخْلَاقَ يَهْجُرُ بِالضُّحَى |
| فَلِإِذَا أَتَى لَيْلٌ أَسَاغَ شَمُولًا | أَوْ شَارِبِ تَرَكَ الصَّبُوحَ تَحْفُظًا |
| وَتَرَاهُ يَطْلُبُ بِالنَّهَارِ حُمُولًا | هُوَ فَاتِكُ الْأَفْعَالِ يَدْرَعُ السَّرَى |
| هُوَ فَاضِلٌ فَاسْتَأْهَلَ التَّفْضِيلًا ⁽⁶⁰⁾ | وَالْخَيْرُ فِي الْخَيْرِيِّ حَتَّى فِي اسْمِهِ |

يبدو التفاضل بين الخيري والبنفسج في الأبيات السابقة أشبه بقضية معروضة أمام جمهرةٍ من القضاة للحكم فيها، وهي تقتضي العدل والإنصاف وحسن التأويل، فإذا ما تحققت لها هذه الأمور، فلا بدّ أنّ الحكم سيكون لصالح الخيري، ذلك أنّه متفوقٌ على البنفسج في المنظر (قهر البنفسج منظرًا). والمنظر هنا يشمل الشكل واللون والنضارة في كلٍّ من الزهرة والأوراق، والرائحة (يفوقه في الشَّمِّ بِالْمِسْكِ الذِّكْيِ). وهي أسسٌ جماليةٌ خالصةٌ.

أما قصيد أبي بكر بن القوطية في الردّ عليه فممتزجٌ بمدح الحاجب عماد الدين إسماعيل:

| | |
|---|---|
| نَبُلَ الْبَنْفَسَجُ فَاحْتَوَى التَّفْضِيلًا | وَكَدَا الْبَنْفَسَجُ لَنْ يَزَالَ نَبِيلًا |
| لَمَّا شَأَى نَوْرَ الرَّبِيعِ بِطَيْبِهِ | وَحَوَى مِنْ الشَّرَفِ الصَّرِيحِ أَثِيلًا |
| فَضَلَ النُّوَارَ فَحَارَ دُونَ جَمِيعِهِ | قَصَبَ السَّبَاقِ وَلَمْ يَكُنْ مَفْضُولًا |
| مُتَسَبِّحًا فِي سَبْقِهِ بِالْحَاجِبِ أَلْ | أَعْلَى عِمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلًا |
| مَلِكٌ عَلَا غُرَّ الْمُلُوكِ الْمُعْتَلِي | نَ أَبَا وَجَدًا فِي الْعُلَا وَقَبِيلًا |
| كَمْ طَاوَلُوهُ فِي الْفَخَارِ فَفَاتَهُمْ | عَرَضًا إِلَى الْمَجْدِ التَّلِيدِ وَطُولًا |

مُتَشَبِّهِينَ بِمَا يُمَثَّلُهُ لَهُمْ لَوْ أَحْسَنُوا التَّشْبِيهَ وَالتَّمَثِيلَا
كَتَشَبُّهُ الْخَيْرِي بِالْمُزْرِي بِهِ لِيَحُورَ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ قَتِيلَا
وَإِذَا اغْتَرَى فإِلَى الْبِنْفَسِجِ يَعْتَرِي وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ كَيْ يَعَزُّ قَلِيلَا
مَا لِلْكَرْبِيِّ الْخَلِيقَةَ بِيَتَغِي فَضَلَ الرَّئِيسِ الْمُعْتَلِي تَخِيلَا
أَوْ مَا دَرَى أَنَّ الْبِنْفَسِجَ لَمْ يَزَلْ فَوْقَ الْأَكْفِ جَلَالَةً مَحْمُولَا
مِنْ أَيْنَ لِلْخَيْرِيِّ اللَّئِيمِ طَلَاقَهُ السُّ سَمَحَ الْكَرِيمِ وَلَنْ يَزَالَ بَخِيلَا
مُسْتَرٌّ طُولَ النَّهَارِ بِعَرَفِهِ كَيْ لَا يُرَى لِنَسِيمِهِ مَسْئُولَا
حَتَّى إِذَا طَرَقَ الظُّلَامُ سَخَا بِهِ إِذْ لَا يَزَى إِلَّا الْقَلِيلَ سَأُولَا
زَهْمَ الْمَشَمِّ إِذَا تَقَادَمَ قَطْفُهُ شَيْئًا قَلِيلًا أَوْ أَحْسَّ دُبُولَا
وَإِذَا قَرَأَتْ مَنَافِعَ النُّوَارِ لَلْ حُكْمَاءِ أَصْبَحَ بَيْنَهُمَا مَجْهُولَا
وَالنَّفْعُ غَضًا إِنْ تَشَأْ أَوْ يَابِسَا هُوَ لِلْبِنْفَسِجِ كُلُّهُ مَحْصُولَا
لَا يَسْتَحِيلُ تَسِيمُهُ فِي الْحَالَتَيْنِ نِ وَلَا إِذَا اسْتَشَقَّتْهُ مَعْمُولَا
وَدَخِيرَةُ الْخُلَفَاءِ وَالْأَمْلاكِ لَا يَخْلُونَ مِنْهُ مَجَنَسًا مَفْصُولَا
فَلْيَحْظَ بِالْقِدْحِ الْمُعْلَى فَاخِرًا وَلْيَرْجِعِ الْخَيْرِيُّ عَنْهُ ذَلِيلَا⁽⁶¹⁾

يخصّ الشاعر البنفسج بقيمة جمالية أخلاقية (النبيل)، ويرفعه من مقام الجميل إلى مقام الجليل. بوصفه الجميل الفائق الجمال، بمجموعة من الألفاظ والتراكيب: (نبيل، تفضيل، نبيل، شأى، الشرف، فضل، قصب السبق، الأعلى، ملك، العلا، الفخار، المجد، التلبد، الرئيس، المعتلي، طلاقة، السمح، الكريم، الأملاك، فاخرًا، القدح المعلى). أضف إلى ذلك تشبيهه بالحاجب الأعلى، وهذا ما يعزز قيمته ومن ثم تفضيله، بمقابل الحطّ من شأن الخيري بجملة من الألفاظ والنوع (المزري به، اللئيم، بخيل، زهم المشم). وفي هذه القيمة (الجميل . الجليل) يستند الشاعر إلى أساس الرائحة التي تفرّدت به عن كلّ النواوير، وهي تحافظ على طيبها سواء أكان غضًا أم يابسًا. كذلك يستند إلى أساسٍ نفعي لا علاقة له بالقيمة الجمالية، ولكنه يعزّز موقف الشاعر في تفضيله.

على الرغم مما عرضه كلا الشاعرين من أسس جمالية لتفضيله، فإنّ أيًا منهما لم يرتكز في تفضيله على أسس جمالية بقدر ما ارتكز على خاصية التمام في نشر عطره ليلاً وحجبه نهارًا، ولأنّ أبا الأصبغ يفضل على البنفسج، فيضعه في إطار صورة فنية ويعلّلها بوصفها نوعًا من الظرف المحبّب (ورأى التستّر بالنسيم لصُبْحِهِ ظرفًا) أو السلوك الاجتماعيّ المهذبّ المحبّب (كمهذبّ الأخلاق يهجرُ بالضُّحَى خَلًا ويُدْنِي بِالمَسَاءِ خَلِيلَا، أَوْ شَارِبِ تَرَكَ الصَّبُوحَ تَحْفَظًا...)، ولعله خالف غايته في سبيل إيجاد الشبيه فعلل خاصية الخيري بوصفها نوعًا من السلوك الاجتماعيّ السلبي (هُوَ فَاتِكُ الْأَفْعَالِ يَدْرُعُ السَّرَى وتراه يطلُبُ بالنَّهَارِ حُمُولَا). في حين يستغلها ابن القوطية بوصفها طبعًا سلبيًا (البخل واللؤم) يقابل طبع البنفسج الإيجابي (الكرم والسماحة).

وإلى خاصية التمام هذه يعود السبب في تفضيل عددٍ من الشعراء للأصفر الخيري عليه، من أبرزهم أبو الحسن بن علي الذي يقول:

أَرَى أَصْفَرَ الْخَيْرِي يُبْدِي مِنَ الضَّنَا
وَيُكْذِبُهُ سِحْرَ بَاعِئِنِ نَوْرِهِ
يَسَاجِلُ أَفَاقَ السَّمَاءِ بِرَوْضَةِ
وَدِي هَفْوَةٍ قَدْ ظَنَّ أَنَّ شَقِيقَهُ
فَقُلْتُ: اتَّذُّ فِي الظَّنِّ وَاسْمَعِ لِمُنْصِفِ
أَفِي القَدْرِ مَخْدُومٍ لَدَيْكَ وَخَادِمِ
وَسَيِّانٍ طَيِّبًا لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ
وَمَا تَقِلُّ فِي يَوْمِهِ مِثْلُ عَاطِرِ
فَقَالَ: بِحَقِّ، قُلْتُ وَهِيَ مَقَالَتِي

ولما كثر الكلام في تفضيل الخيرى الأصفر، صنع أبو الوليد الحميري قطعة "ربما كان فيها بعض الردّ على من فضّله، وبخس النمام أكثر حقه، ولم يرع حُسن خُلقه وخُلقه" (63):

يَا مَنْ يَدُمُ خَلَائِقَ النَّمَامِ
قَدْ كَ اتَّذُّ عَنْ لَوْمِهِ جَهْلًا بِهِ
هُوَ أَشْهَرُ الْخَيْرِي حُسْنًا فَاحْبَبُهُ
مُنْتَزَّةً عَنْ أَنْ يُرَى مُسْتَهْتَرًا
مُسْتَهْتَرٌ فِي خُلُقِهِ مُسْتَهْتَرٌ
لَمْ يَرْضَ إِلَّا الْمِسْكَ مَسْكَ جِسْمُهُ
وَالْمُنْتَمِي أَبَدًا إِلَيْهِ نُضَارُهُ
إِصْفَرَ مِنْ حَسَدٍ لَهُ وَكَأْبَةِ
أَيْقَاسٍ مُنْقَرِدٌ بِظَرْفٍ مُعْجَزِ
لَوْ كَانَتْ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ سَرْمَدًا
وَيَحْطُطُهُ عَنْ خُطَاةِ الْإِكْرَامِ
فَجَمَالُهُ زَارٍ عَلَى اللُّوَامِ
مِنْ بَيْنِهِ بِتَحْيِيَةٍ وَسَلَامِ
إِلَّا إِذَا اكْتَحَلَ السُّورَى بِمَنَامِ
فِي خُلُقِهِ مُسْتَحْسَنُ الْإِمَامِ
وَبِهِ يَبُوحُ إِلَيْكَ فِي الْإِظْلَامِ
فِي الْفَضْلِ أَنْ يُعْزَى إِلَى النَّمَامِ
لَمَّا شَاهَ بِحُسْنِهِ الْبَسَامِ
بِمَشَارِكِ أَخْلَاقِ نَوْرِ الْعَامِ
لَمْ تُلَقَ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ (64)

ذهب أبو الوليد مذهبًا مخالفًا أعاد به بناء التفضيل على أسسٍ جماليةٍ خالصةٍ، منكرًا على من أزرى بقيمة النمام استنادًا إلى معايير لا تتبع من التقييم الجمالي، مقررًا أنّ المعيار الرئيس الذي ينبغي أن يبنى عليه التفضيل هو التفوق في الجمال. وجمال النمام (زارٍ على اللوام)، فهو (أشهر الخيرى حُسنًا). ثم يستند في تفضيله إلى معيارٍ جديدٍ، لا يعدّ معيارًا جماليًا، ولكنه يؤثر في

(62) المصدر نفسه، ص 88 / 89 .

(63) المصدر نفسه، ص 91.

(64) المصدر نفسه، ص 91.

عملية التقييم، وهو الندرة أو غياب الألفة. فالألفة تورث النفس الاعتقاد والملل وتؤثر في الذات في موقفها من الموضوع (أيقاس مفرد بظرفٍ معجزٍ بمشارك أخلاق نور العام). وتكمن أهمية الندرة في أنها ضربٌ من التفرد الذي يرتقي بالموضوع من مرتبة الجميل إلى مرتبة الجليل (لو كانت الشمسُ المنيرةُ سرمدًا لم تُلقَ بالإجلال والإعظام).

وهكذا نجد أن التفضيلات الجمالية التي تجلّت في الاختيارات الشعرية في كتاب البديع في فصل الربيع تتوّعت بين تفضيل مطلقٍ وتفضيل مقارن، وإن لم تكن تستند دائمًا إلى أسس جمالية خالصة، ولعلّ نظرة متأنية في نوعي التفضيل الذي تجلّى في الأبيات السابقة جميعها تؤكد أنه استند إلى نوعين من التفرد: التفوق، والتمايز.

والتفوق تفرد جماليّ بالكم؛ يتأتى من تفوق الموضوع على سائر أفراد جنسه؛ في صفة من الصفات أو أكثر أو فيها كلها، ولأنّ "العلاقة الجمالية إدراكٌ وتقويمٌ للعالم من موشور المثل الأعلى"⁽⁶⁵⁾ يغدو الاقتراب من المثل الأعلى للنوع معيارًا لكلّ تفوقٍ في أفراده. وفي عالم الأزهار والنواوير يجمع المثل الأعلى بين المرأى النضر، والشكل الجميل، والألوان المشرقة المفعمة بالحيوية، والزائحة العطرة المنعشة، فكلما كانت الزهرة أكثر اقترابًا من هذا المثل، ارتقت في تفوقها، ومن ثمّ استحققت التفضيل. مثل ذلك التفوق الذي يتمتع به الياسمين على الأفاحي في الشكل واللون، في قول أبي علي إدريس بن اليمان⁽⁶⁶⁾:

تزيّدُ على الأفاحي في ابتسامٍ كما زاد الكبيرُ على الصغيرِ
ويخفّضُ الشذا المسكيّ عنها كما انخفّض الصغيرُ على الكبيرِ⁽⁶⁷⁾

وتفوق الورد على الجنار الذي يشابهه في شكله ويقاربه في لونه، لكنّه يقصر عنه في طيبه، كما يصفهما أبو عامر بن مسلمة⁽⁶⁸⁾:

وجنارٍ ينوره يرهـُزُ وأوراقه فتتأهـُزُ لمن أبصر
قد شابه الورد في تضاعفه وقارب اللون حلة العصفُر
مثل ثمار الرمان زاهرة لكنّه منظر بلا مخبر⁽⁶⁹⁾

أمّا التمايز، فهو تفرد بالكيف؛ إذ يتميّز النور من غيره من الأزهار والنواوير في صفةٍ أو أكثر من الصفات العامة التي لا ترتبط بالضرورة بالمثل الأعلى للنوع بأسره، من مثل الخيري النمام المنتمي إلى فصيلة الرياحين، و المتميز بأنه يكتّم عرفه نهارًا ويطلقه ليلاً، فيصفه أبو بكر بن القوطية⁽⁷⁰⁾ بقوله:

يسري إذا طرّق الظلام نسيمه ويظلّ يكمن بالنهار كذي دلس
جنس يخالف كل جنس في التعرّ ري والتلبس والتوحيش والأنفس
فتراه طول نهاره متجرّدًا من عرفه ومع الدياجي ملتبس
وتراه طول نهاره متوحّشًا فإذا دنا وقت الظلام له أنيس⁽⁷¹⁾

(65) بلوز، علم الجمال، ص 85.

(66) إدريس بن اليمان: شاعر، عالم، له مدائح كثيرة في ملوك الطوائف، بغية الملتمس 236، جذوة المقتبس 369، رايات المبرزين 54، شذرات الذهب 62/3، نفع الطيب 25/4، وفيات الأعيان 368/4.

(67) الحميري، المصدر نفسه، ص 100.

(68) محمد بن عبد الله بن مسلمة، وزير، أديب، عالم، سكن إشبيلية، له كتاب "حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح" بغية الملتمس 90، جذوة المقتبس 61، مطمح الأنفس 203، المغرب 96/1، نفع الطيب 544/3.

(69) الحميري، المصدر نفسه، ص 164.

(70) محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم، أديب، لغوي، عالم بالحنو، من حفاظ الحديث، له مؤلفات منها "الأفعال" و"المقصود والممدود" و"تاريخ افتتاح الأندلس" توفي سنة 367 هـ. بغية الملتمس 112، جذوة المقتبس 369، رايات المبرزين 54، شذرات الذهب 62/3، نفع الطيب 25/4، وفيات الأعيان 368/4.

(71) الحميري، المصدر نفسه، ص 115 / 116.

وأياً يكن التفضيل مطلقاً أم مقارناً، فإنّ التفضيل الجماليّ الخالص هو التفضيل الذي يقوم على التفوق؛ فالجميل هو "المتفوق في جنسه"⁽⁷²⁾، في حين تشوب التفضيل القائم على التمايز عناصر غير جمالية. وليس التفضيل الجماليّ - كما ذكرنا سابقاً - إلا نوعاً معقداً من التقييم الجماليّ، ولما كان في القيمة جزءاً يرتبط بالذات، فإنّ تقييم موضوع ما لا بدّ أن يتباين بين ذاتٍ وأخرى، ومن ثمّ، فإنّ التفضيلات ستتباين وقد تتعارض. ولما كان العمل الفنيّ، وفقاً لكثير من الدراسات النفسية، "رسالة من الأنا (المبدع) إلى الآخر (المتلقي)"، بقصد التوصل إلى ما يمكن أن نطلق عليه: حالة (النحن)؛ أي توحد الأنا والآخر في حالة نفسية واحدة، تجمع بينهما وتزيل ما بينهما من فوارق واختلاف في وجهات النظر والآراء والانفعالات؛ أي أنّ المبدع يحاول أن يكسب المتلقي إلى صفه، ويقعده بوجهة نظره"⁽⁷³⁾، فقد جعل الشعراء المقطعات التفضيلية القصيرة في كتاب "البدیع في فصل الربيع" تغدو ميادين لعرض البراهين ويسط الحجاج التي تؤكد أفضلية نورٍ على آخر أو على سائر النواوير؛ إذ يستغلّ الشاعر منهم كلّ تفرد، سواء أكان تفوقاً أم تمايزاً، في سبيل إثبات صحة ما يذهب إليه من تقييم جماليّ، ولكنّه لا يفرض القيم التي يتغنى بها فرضاً قسرياً، وإنما يتلطف بما يجلبها إلى النفس حتى تعتقد اختياراً وتحت على الإرادة من تلقائها. وإنّ القارئ يتلطف في استخراج الدلالة من الشعر محققاً فيه ثقافته، ومتجهاً إليه بجملة عالمه حتى كأنّ القيمة تصبح من إنتاج القارئ والشاعر معاً⁽⁷⁴⁾، الأمر الذي أسهم في تبلور ظاهرة أسلوبية واضحة في شعر التفضيل الجماليّ بين الأزهار والنواوير يمكن أن نسميها "التعليل الجماليّ".

والتعليل الجماليّ أسلوبٌ فنيّ ينطلق فيه الخيال الشعريّ من الاختلاف أو التباين الذي لا يستند إلى أسسٍ جماليةٍ، ليحوّله بالصورة الفنية (غالباً الأنسنة) إلى أساسٍ أخلاقيّ أو اجتماعيٍّ يعزّز القيمة الجمالية للموضوع ويدعم التفضيل الجماليّ. بمعنى آخر؛ يهدف التعليل الجماليّ إلى التحول بالتفرد الذي يقوم عليه التفضيل من التمايز في عالم الأزهار والنواوير إلى التفوق في عالم الإنسان. ولما كانت القيمة الجمالية مكونة من جانب موضوعيٍّ وآخر ذاتيٍّ، وكان التمايز لا يؤثر في الجانب الموضوعي، فإنّ الشاعر يسعى إلى تحويل التمايز إلى عامل يدعم التفضيل، فإذا كان الاقتراب من المثل الأعلى الجماليّ أو التفوق أمراً عصياً على التحقيق، فإنّه يسعى بالتمايز، بالصورة الفنية، إلى الاقتراب من المثل الأعلى الأخلاقيّ أو الاجتماعيّ بغية التأثير في الذات المتلقيّة وتعزيز الجانب الذاتي للقيمة الجمالية، ولكن يجب أن يكون الموضوع جميلاً أو مثيراً للاهتمام بدرجةٍ تفجر داخل الشاعر طاقاتٍ تعبيريةً تسعى إلى إيصال إحساسه بالجمال أو الإثارة إلى الآخرين، فترصد عناصر جماله بدقة، ثم تتحوّل إلى عناصر غير الجمالية، فتمنحها، بقوة الخيال، حيويةً وحرارةً تنتزعها من برودها وحيادها وتجعل منها عناصر رديفةً تمتزج مع العناصر الجمالية، مهما كانت كثيرةً أو قليلةً أو حتى نادرةً، في إنتاج القيمة الجمالية من جديد بما يتوافق مع تفضيله الجماليّ ويعزّزه. فدوام الخضرة في الآس يغدو وفاء، والاعتراش في الياسمين يغدو علو همة، وانغلاق الزهرة ليلاً في النيلوفر يغدو حياءً وتحصناً، والتفتح أوائل الربيع في البهار يغدو تعاطفاً مع العشاق، والتفتح أواخر الربيع في الورد يغدو رفعة قدر،... إلخ. ولعلّ الزهرة التي حازت قصب السبق في هذه الظاهرة في كتاب البديع هي الخيريّ التمام، الذي يتفرد بخاصية نشر العبير ليلاً وكنمه نهاراً؛ وترجع هذه الخاصية علمياً إلى أنّ طائفة من الورد تفتّح في المساء، كما أنّها تسترخي خلاياها وتنتطح العطور من جيوبها في درجة مناسبة من الحرارة بعد إذ كانت المسام مغلقةً عند شدة الحرارة لمقاومة الجفاف وتقليل «الاستعراق». وهذا أمرٌ تشريحيّ فيزيولوجي. وكذلك جزئيات العبير الفاغم المنطلقة تتصاعد، ثم ترتدّ إلى أنوف الجلاس إذ ذاك لبرودة الجو ورطوبته وتتسمّ الرّيح إذ تختلف درجات الحرارة في طبقات الجوّ وعند الأرض وهذا أمرٌ فيزيائيّ. وكذلك إذا جاء المساء، ودبّ الظلام تتحجب أشكال الأشياء عن الأبصار فلا عجب إذا تجمّع جانب من نشاط النفس حول حاسة الشمّ، وهذا أمرٌ نفسيّ⁽⁷⁵⁾. ولكن الخيال الشعريّ المولع أبداً بالجميل لا يركن إلى هذه التعليلات العلمية، بل يخلق باحثاً عن تعليل يرقى إلى مستوى الانفعال الشعريّ بهذه الزهرة، لذا نجد

(72) تشيرنيشفسكي، علاقات الفن الجمالية بالواقع، وزارة الثقافة، دمشق، 1982م، ص 14.

(73) حنورة: مصري عبد الحميد، سيكولوجية التدوق الفني، دار المعارف، القاهرة، د.ت. ص 22.

(74) ينظر: الواد، حسين، المتنبّي والتجربة الجمالية عند العرب (تلقي القدماء لشعره)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2004م ص 393.

(75) اليافي: عبد الكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م. ص 285.

أخيلة الشعراء تتبارى في نسج صورٍ فنيّةٍ تمثّل هذه الخاصية المتفردة، فهذا أبو الوليد الحميري يحشد جملةً من التعليقات المتتابعة بغية تفسير هذه الظاهرة، فيقول:

نَهَارُ خَيْرِيَّكَ فِي لَيْلِهِ كَذَلِكَ اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَدِيبِ
يَنِمُّ فِيهِ وَبِنَامِ الصُّبْحِ تَصَاوُرًا عَنْ كُلِّ أَمْرٍ مَعِيبِ
كَأَنَّمَا اللَّيْلُ حَبِيبٌ لَّهُ فَهُوَ إِذَا حَلَّ اكْتَسَى كُلَّ طَيْبِ
كَأَنَّمَا الصُّبْحُ رَقِيبٌ لَّهُ فَيَزَعُوي عِنْدَ طُلُوعِ الرَّقِيبِ⁽⁷⁶⁾

لقد تحوّل أبو الوليد بالظاهرة الطبيعية إلى أساس اجتماعي حين عقد عرى المشابهة بين النمام والأديب، ثمّ تحوّل بها إلى أساس أخلاقيّ عندما رأى أن غاية النمام فيما يفعل التصاوت عن كلّ أمرٍ معيب، ثمّ عاد بنا إلى الأساس الاجتماعي عندما جعل منه عاشقًا لليل وجعل الصبح عليه رقيبًا. وهذا كلّهُ يصبّ في الجانب الذاتي للقيمة.

في حين يعلّل ابن الأثير الإشبيلي⁽⁷⁷⁾ هذه الظاهرة تعليلاً نفسيًا طريفًا، فيقول:

لَا تَعْدُلُوا الْخَيْرِيَّ فِي كَنَمِهِ الطُّ طَيْبِ اسْتِثَارًا فَهُوَ عَيْنُ الصَّوَابِ
الصُّبْحُ شِبْهُ الشَّيْبِ فِي لَوْنِهِ فَعَاقِفُهُ وَاللَّيْلُ شِبْهُ الشَّبَابِ⁽⁷⁸⁾

يربط الخيال الشعريّ، بالمشاكلّة اللونية، بين الشيب والصبح من جهة، والشباب والليل من جهة ثانية، معللاً إعراض الخيري عن النهار وتعلّقه بالليل بميل النفس إلى الشباب وإنكارها الشيب الذي ينبئ بقرب انقضائه.

ومما لا شكّ فيه أنّ الشاعر لا يشرع في نسج تعليقاته حول الموضوع، إلا بعد أن يسلم بقيمته الجمالية. أيًا كانت درجتها. فجمال الورد الباهر يحدو الخيال الشعري ليحوّل تفتحه في أواخر فصل الربيع من سمةٍ سلبيةٍ إلى سمةٍ إيجابيةٍ تعزز القيمة الجمالية: كما في قول أبي عامر بن مسلمة:

الْوَرْدُ عِنْدِي فِي الْخُدُودِ نَفَاسَةٌ وَرِيَّاسَةٌ مَهْمَا يُقَسُّ أَوْ يُحَظِّ
هُوَ آخِرٌ وَلَهُ التَّقْدُمُ أَوْلًا كَمِ آخِرٍ قَدْ حَارَ مَفْخَرٌ مِّنْ حَظِي⁽⁷⁹⁾

ويوظف أبو الوليد الحميري هذه السمة في سياق المدح، إذ يمدح والده قائلاً:

يَأْمَنُ تَأَزَّرَ بِالْمَكَارِمِ وَازْتَدَى بِالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ الرَّفِيعِ الْفَائِقِ
أَنْظُرُ إِلَى خَدِّ الرَّبِيعِ مُرَكَّبًا فِي وَجْهِ هَذَا الْمَهْرَجَانِ الرَّائِقِ
وَرُدُّ تَقَدَّمَ إِذْ تَأَخَّرَ وَاعْتَدَى فِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ أَوْلَ سَابِقِ
وَأَفَاكَ مُشْتَمَلًا بِبُوبِ حَيَائِهِ حَجَلًا لِأَنَّ حَيَاكَ آخِرَ لَاحِقِ⁽⁸⁰⁾

(76) الحميري، المصدر نفسه، ص 119.

(77) أحمد بن محمد الخولاني الأندلسي، كان شاعر المعتضد بن عبّاد صاحب إشبيلية وكان عالمًا جمع وصنف، وله في صناعة النظم فصل لايرد، توفي سنة 433 هـ.

بغية الملتس 164، جذوة المقتبس 107، الذخيرة 1. 2 / 135، المغرب 1 / 264، نفع الطيب 3 / 477، وفيات الأعيان 1 / 141.

(78) الحميري، المصدر نفسه، ص 117 / 118.

(79) المصدر نفسه، ص 132.

(80) المصدر نفسه، ص 133.

وهكذا يبرز التفضيل في الأزهار والنواوير في كتاب الربيع في فصل الربيع، بوصفه نموذجًا أمثل للتفضيل الجمالي في شعر الطبيعة، معبرًا عن القيمة الجمالية لموضوع ما، وتجليها في أشكال متنوعة من الاختيارات والنشاطات التي لا غاية لها سوى الغاية الجمالية.

وبناءً على ما سبق يمكننا أن نقف على النتائج الآتية:

- نشأ الاهتمام الجمالي بغرض وصف الأزهار والنواوير، والمفاضلة بينها في الشعر الأندلسي نتيجة عوامل عدّة من أبرزها:
 1. اهتمام ولاية الأمر من أمراء ووزراء وكتاب بهذا الغرض، وهو الأمر الذي يفسر جملة من الظواهر الأسلوبية في شعر التفضيل، لعلّ من أبرزها:
 - الاستغناء عن المقدمات الطويلة للقوائد المدحية والتمهيد لها بوصف نور.
 - إقامة علاقة بين حالة الزهر وصفات الممدوح.
 - كثافة الحقول الدلالية التي ترتبط بالملك والسلطان والسيادة.
 2. التحفيز الإبداعي الذي نشأ في ظلّ المنافسة الأدبية بين المغرب والمشرق، تلك التي تجلّت في ردّ كثير من الشعراء الأندلسيين على ابن الرومي في تفضيله البهار على الورد، وما استتبع ذلك من اهتمام بهذا المجال. الأمر الذي لم يقتصر على الشعر، إنما انتقل إلى النثر، فأبدع الأندلسيون في رسائل التفضيل، وهي التي حفلت بعناصر قصصية ومسرحية مثل: الزمان، والمكان، والحدث، والشخصيات، والحوار.
 3. التنوّع الحيويّ في الطبيعة الأندلسية على اختلاف الفصول، وهذا الأمر هو الذي يجعل الشاعر يعيش في تجربته الجمالية مجموعة من التجارب المتزامنة والمتتابعة، فيحفز آليات المقارنة والاختيار.
 - انطلق الشعراء الأندلسيون في مفاضلتهم بين النواوير من ملاحظتهم الدقيقة لتفاوتها في درجات الجمال، وأرجعوا هذا التفاوت إلى عناصر ترتبط بالتمظهر الحسيّ (الشكل، اللون، الرائحة).
 - يتخذ التفضيل - عامةً - في كتاب البديع في فصل الربيع صورتين: التفضيل المطلق؛ ويكون ذلك بتفضيل نور على سائر النواوير والأزهار على وجه الإطلاق لا التقييد، والتعميم لا التخصيص، والتفضيل المقارن؛ ويكون بتفضيل نور على آخر.
 - يقوم التفضيل، سواء أكان مطلقًا أم مقارنًا، على نوعين من التفوّق: التفوّق في العناصر الجمالية، والتمايز في السمات الحيوية والطبيعية. ويقوم التفضيل الجماليّ الخالص على التفوّق، في حين تشوب التفضيل القائم على التمايز عناصر غير جمالية.
 - يقوم التفضيل الجماليّ، بوصفه نوعًا من التقييم الجماليّ، على أسس جماليةٍ خالصةٍ تتعلّق بالتمظهر الحسيّ لعناصره (الشكل، اللون، الرائحة)، ولكنه ما إن يتحول إلى ميدان التعبير الشعريّ، حتى تتداخل أسسه الجمالية مع أسس أخرى قد تكون طبيعية حيوية أو نفعية.
- وهكذا فإنّ التفضيل الجماليّ في شعر النوريات يزوج بين التفوق والتمايز، وهو الأمر الذي أسهم في اكتمال ظاهرة أسلوبية في شعر النوريات، تتجلى بوضوح في كتاب البديع في فصل الربيع يمكن أن نسميها "التعليل الجماليّ"، تهدف إلى التحول بالتفوّق من التمايز في عالم الأزهار والنواوير إلى التفوّق في عالم الإنسان، وهذا ما يعزّز تفضيله ويؤكد صحة ما ذهب إليه الشاعر.

المصادر والمراجع:

المصادر:

1. الحميري، أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر
2. البديع في وصف الربيع، تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيان، دار المدني، جدة، ط1، 1987م.
3. البديع في فصل الربيع، تحقيق: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1997م.
4. البديع في وصف الربيع، تحقيق: هنري بيريس، المطبعة الاقتصادية، الجزائر، د. ت.

المراجع:

1. إسماعيل، عزالدين، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، ط2، 1955م.
2. بلوز، نايف، علم الجمال، مطبوعات جامعة دمشق، 2000. 2001 م.
3. تشيرنيشفسكي، ن.غ، علاقات الفن الجمالية بالواقع، وزارة الثقافة، دمشق، 1982م.
4. الحميدي، محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، طبعة مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1952م.
5. حنورة، مصري عبد الحميد، سيكولوجية التذوق الفني، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
6. ابن خاقان، الفتح بن محمد بن عبيد الله، قلند العقيان في محاسن الأعيان، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1990م.
7. مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983.
8. ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1968م.
9. ابن الرومي، ديوانه، تحقيق حسين نصار، القاهرة 1393هـ .
10. ابن سعيد، علي بن موسى، رايات المبرزين وغياب المميزين، تحقيق: محمد رضوان الداية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1987م.
11. المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، 1980م.
12. الشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط12، 2008م
13. الصفدي: خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات، تحقيق: مجموعة من الباحثين، فيسبادن، 1960.
14. عبد الحميد، شاكرا، التفضيل الجمالي. دراسة في سيكولوجية التذوق الفني، سلسلة عالم المعرفة، عدد 267، مارس، 2001م.
15. ابن عماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، د. ت.
16. الواد، حسين، المنتبى والتجربة الجمالية عند العرب (تلقى القدماء لشعره)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2004م
17. اليافي، عبد الكريم، دراسات فنية في الأدب العربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.
18. عيد، يوسف، دفاثر أندلسية. في الشعر والنثر والنقد والحضارة والأعلام، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2006م.